المناسبة في القصص القرآني (سورة الشعراء أنموذجاً)

The occasion in the Qur’anic stories

(Surah Al-Shu’ara as a model)

أ.م.د. خالد مظهر أحمد ذنون

Asst.Prof.Dr. Khaled Mazhar Ahmed Dhanoun

مديرية تربية صلاح الدين

Saladin Education Directorate

E-mail: Khalid.mudhher@gmail.com

الكلمات المفتاحية: المناسبة، القصص القرآني، المتلقي، السياق، محور السورة.

Keywords: The occasion, the Qur’anic stories, the recipient, the context, the axis of the surah.

الملخص

عُنيتُ في هذا البحث بدراسة المناسبة في القصص القرآني ضمن السياق وجو السورة العام ومحورها، وهي سورة الشعراء، تسلية وتصبيرًا للنبي محمدﷺ وأمته، وفي ذلك محاوله لبيان التناسب بين القصص وأثره في الدعوة إلى عقيدة الإسلام، ولا سيما ما يندرج منها ضمن تسلسل زمني غير مقصود جاء في سياق مقصود مراعاة للمناسبة في تلك القصص لتوجيه المتلقي إلى النظر والاعتبار بما جرى على الأمم السابقة، وبيان إعجاز القرآن الكريم في نظمه وترابط آياته وسوره.

Abstract

In this research, I meant to study the occasion in the Qur'anic stories within the context and the atmosphere of the general surah and its axis, which is Surat al-Shu'ara', as entertainment and patience for the Prophet Muhammad ρ and his nation. It was intended in an intended context, taking into account the occasion in those stories, to direct the recipient to consider and consider what happened to the previous nations, and to demonstrate the miracle of the Noble Qur'an in its systems and the interdependence of its verses and chapters.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي علمنا ما لم نعلم، والصـــلاة والســـلام على ســـيدنا محمد الأمينﷺ وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد..

فإن هذا الموضـوع الذي يتناوله البحث مخصـوص بموضـوع (المناسـبة في القصـص القرآني ـــــ سورة الشعراء أنموذجا)، والمناسبة لها أثرها في سياق القصص القرآني عندما تأتي متسـقة مع الأسـلوب والنظم القرآني الذي يأتي موافقا للجو الذي تؤدي فيه بطريقة مبهرة يسـعفها ورود المناســبة متوافقًا مع صــياغات التراكيب المؤدية لمعانيها بشــكل معجز لا يأتي في مكان آخر بهذه القوة الإبلاغية.

ويخضع البحث في موضوعه إلى مجموعة العناصر، ومن الصعب أن يتم التوافق بينها، ولكن التوافقات فيما بينها تحت مظلة السـياق الذي يكون حاضـنًا للقص ومناسـبته ينصـرف إلى إثراء مرتكزاته التي تنمو في عرض وحدات القصـص وعلاقتها بذكر المناسـبة التي لا تخرج عن أن تكون مهيأة لأجواء التلاحم النظمي لبيان القرآن الكريم وبلاغته ولا سيما في ما نجده في سورة الشعراء التي جاء مدار بحثنا عليها ولأهمية الموضوع عملنا جاهدين أن نضـع خطوات متسلسلة حتى نكشف قيمة المناسبة وعملها في نظم ترتيب الآيات وإن كان وقفيًا إلا أنه لم يكن كذلك من غير غاية شرعية وتعليمية تركيبية فنية.

فاقتضــى البحث مســلكه في مطلبين شــمل الأول: منها وحدتين كانت الأولى التعريف بالمناسبة والقصص القرآني في اللغة والاصطلاح، وجاءت الأخرى تعالج ترتيب السورة وغرضها الرئيس، ودرسـنا في المبحث الثاني: مناسـبة القصـص القرآني الواردة في سـورة الشـعراء فجاء المطلب الأول: متناولًا سـورة الشـعراء وغرضـها وترتيبها، أما المطلب الثالث فتضـمن مناسـبة القصص القرآني في سورة الشعراء إذ درس مناسبات أربع قصص قرآنية أولها قصة موسىعليه السلام وثانيها قصــة إبراهيمعليه السلام وثالثها قصــة نوحعليه السلام وآخرها قصــة هودعليه السلام، وفي نهاية هذه المقدمة فإني أشكر الله سبحانه وتعالى على نعمة العلم ونتمنى أن يديمه علينا، ويجعله علمًا نافعًا، والله من وراء القصد، وهو ولي التوفيق والسداد والنجاح.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث

المطلب الأول: المناسبة لغة واصطلاحا.

أولا: تعريف المناسبة لغة واصطلاحا:

المناسبة في اللغة: المراقبة والمشاكلة[1]، وقال ابن فارس:((النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء))[2]، وفي اصطلاح المفسرين، قال الزركشي:(اعلم ان المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول)[3]، وعرفها البقاعي فقال:((علم تعرف منه علل ترتيب اجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال))[4] ولهذا قيل المناسبة امر معقول، اذا عرض على العقول تلقته بالقبول[5]، وذكر فخر الدين الرازي (ت604هـ) في تفسيره قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[6]، وما قاله الأصمعي وهو يقرأ هذه الآية وبجنبه أعرابي فقرأ (والله غفور رحيم) سهوا، فقال الأعرابي: كلام مَنْ هذا ؟ فقلت كلام الله. فقال: أعد، فأعدت:(والله غفور رحيم)، ثم تنبهت فقلت:(والله عزيز حكيم) فقال: الآن أصبت، فقلت: كيف عرفت؟ فقال: يا هذا عزيز حكيم، فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع[7]، ربط الأعرابي بين الفاصلة، والمعنى فالعزيز الحكيم هو القادر على إنزال العقوبة بخلاف الغفور الرحيم الذي يتجاوز على ايقاع العقاب[8] من هنا يعلم أن موضوع هذا العلم هو بيان أوجه تناسب سور القران الكريم وآياته، ولا سيما في قصصه، وكيف أن بعضه أخذ بعناق بعض في تأليف محكم متين.

ثانيًا: بدايات علم المناسبة: ويمكن القول بأن أكثر من أجاد فيه الإمام فخر الدين الرازي، فقد قال:((أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط))[9]، فكانت بدايته مرتبطة بدراسة إعجاز القرآن الكريم بقضية النظم فهو وجه من وجوه إعجاز القرآن[10]، وأول من نبَّه من العلماء لهذا العلم النفيس وأظهره، قال الشيخ أبو الحسن الشهرباني(ت:972هـ):((أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوريّ(ت:324هـ)، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لِمَ جُعِلَت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة))[11].

ثالثًا: تعريف القصص في القران الكريم:

القصـة لغة:((القصـة مشـتقة من القص، والمصـدر يدل على تتبع الأثر، ومن قوله تعالى:﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[12]، أي: رجعا من الطريق الذي سـلكاه يقصـان الأثر، والقصص جمع قصة، وهي الأمر، والشأن، والذي يكتب، والقصص: الأخبار المتتبعة[13].

وأما في الاصـطلاح:((هي حديث من القران الكريم يبنى عن آثار الغابرين، ويحكي أحداثا ماضية من أجل العظة والاعتبار))[14].

المطلب الثاني

سورة الشعراء تسميتها ومكان نزولها وعدد آياتها وفضلها.

أولًا: تسمية السورة: سميت هذه السورة (بسورة الشعراء) لأن الله تعالى ذكر فيها أخبار الشـعراء، وذلك للرد على المشـركين في زعمهم أن محمدًا كان شـاعرًا، وأن ما جاء به من قبيل الشـعر، فرد الله عليهم ذلك الكذب والبهتان بقوله سـبحانه:﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴾[15]، وبذلك ظهر الحق وبان[16].

واشـتهرت عند السـلف بسـورة الشـعراء لأنها تفردت من بين سـورة القرآن بذكر كلمة الشـعراء، وكذلك جاءت تسـميتها في كتب السـنة، وتسـمى أيضـا سـورة طسـم، وفي (أحكام ابن العربي) أنها تسـمى أيضـا الجامعة، ونسـبه ابن كثير والسـيوطي في (الإتقان) إلى تفسـير مالك المروي عنه، ولم يظهر وجه وصفها بهذا الوصف، ولعلها أول سورة جمعت ذكر الرسل أصحاب الشرائع المعلومة إلى الرسالة المحمدية[17].

ثانيًا: مكان نزول السورة وفضلها: نزلت بمكة إلا قوله تعالى:﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾[18]، فإنها نزلت بالمدينة وهي مائتان وسبع وعشرون آية، وألف ومائتان وسبع وتسعون كلمة، وخمسة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون حرفا[19].

ثالثًا: فضلها: عن معقل بن يسار قال: قال رسول اللهﷺ:« اعملوا بالقرآن احلوا حلاله و حرموا حرامه و اقتدوا به و لا تكفروا بشيء منه و ما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله و إلى أولي العلم من بعدي كما يخبرونكم و آمنوا بالتوراة و الإنجيل و الزبور و ما أوتي النبيون من ربهم و ليسـعكم القرآن و ما فيه من البيان فإنه شـافع مشـفع و ما حل مصـدق ألا و إن لكل آية نور القيامة و إني أعطيت سـورة البقرة من الذكر الأول و أعطيت طه وطواسـين، والحواميم من ألواح موسى وأعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش»[20]،...الخ.

المبحث الثاني

مناسبة القصص القرآني الواردة في سورة الشعراء

المطلب الأول: سورة الشعراء وغرضها وترتيبها

أولًا: المحور الذي تدور حوله سورة الشعراء وجوها العام:

ابتدأت السورة الكريمة بموضوع القرآن العظيم، الذي أنزله الله هداية للخلق، وبلسما شافيا لأمراض الإنسانية، وذكرت موقف المشركين منه، فقد كذبوا به مع وضوح آياته، وسطوع أنواره وبراهينه، وطلبوا من رسوله معجزة أخرى غير القرآن الكريم عنادًا واستكبارًا فقال تعالى:﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾[21]، وهي من السور المكية التي أنزلت قبل الهجرة، وتعرضت للأهداف والأغراض نفسها التي تناولتها السور المكية، من الإيمان بالله، واليوم الآخر، والبعث بعد الموت، وموضوع الوحي والرسالة، والتذكير، والإنذار، وقصص الأنبياء جاء على غير الترتيب الزمني لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى[22]، وهي السورة السادسة والعشرون وفق الرسم القرآني، وأنزلت بعد سورة الواقعة وقبل سورة النمل[23].

وقد سُمِّيت هذه السورة بهذا الاسم لذكر الشعراء في قوله تعالى﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾[24]، وتبلغ آياتها سبعًا وعشرين ومائتي آية[25].

ثانياً: الغرض من السورة وترتيبها:

محور هذه السورة الرئيس الذي تدور حوله هو موضوع السور المكية جميعًا في العقيدة الملخصة في عناصرها الأساسية: توحيد الله قال تعالى:﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾[26] والخوف من الآخرة قال تعالى:﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾[27]، والتصديق بالوحي المنزل على محمد رسول اللهﷺ قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[28]، ثم التخويف من عاقبة التكذيب، إما بعذاب الدنيا الذي يدمر المكذبين؛ وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين قال تعالى:﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[29]، وقال تعالى﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[30]، لما ذكر في هذه السورة ما يزيل الحزن عن قلب رسوله صلى الله عليه وسلم من الدلائل العقلية، ومن أخبار الأنبياء المتقدمين، ثم ذكر الدلائل على نبوته عليه السلام،((... ثانيا: ختم السورة بهذا التهديد العظيم، يعني أن الذين ظلموا أنفسهم وأعرضوا عن تدبر هذه الآيات، والتأمل في هذه البينات فإنهم سيعلمون بعد ذلك أي منقلب ينقلبون، وقال الجمهور: المراد منه الزجر عن الطريقة التي وصف الله بها هؤلاء الشعراء، والأول أقرب إلى نظم السورة من أولها إلى آخرها))[31]، يقصد من هذه السورة التنويه بشأن القرآن، وقد

جاء في أولها تهديدهم على التكذيب به، وجاء أخرها في إثبات تنزيله، والتمييز بينه وبين ما تلقي الشياطين على الكهان والشعراء[32]، وختمت السورة بتنزيه القرآن عن بهتان المشركين وشناعة قولهم أن الشياطين تنزلت به ردًا حازمًا على ما ساورهم من شك وظنون وأوهام[33].

المطلب الثاني: مناسبة القصص القرآني في سورة الشعراء

أولًا: مناسبة قصة موسى عليه السلام

تحدثت السورة عن طائفة من الرسل الكرام، الذين بعثهم الله لهداية البشرية فبدأت بقصة الكليم موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية الجبار، وما جرى من المحاورة والمداورة بينهما في شأن الإله جل وعلا، وما أيد الله به موسى عليه السلام من الحجة الدامغة التي تقصم ظهر الباطل، وقد ذكرت في القصة حلقات جديدة، انتهت ببيان العضة والعبرة من الفارق الهائل بين الإيمان والطغيان[34]قال تعالى:﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[35]، وقلما تجد في الكتاب العزيز ورود تسليته عليه السلام إلا معقبة بقصص موسى عليه السلام، وما كابد من بني إسرائيل وفرعون، وفي كل قصة منها إحراز ما لم تحرزه الأخرى من الفوائد والمعاني والأخبار حتى لا تجد قصة تتكرر وإن ظن ذلك من لم يمعن النظر، فما من قصة من القصص المتكررة في الظاهر إلا ولو سقطت أو قدر إزالتها لنقص من الفائدة ما لا يحصل من غيرها، وسيوضح هذا في التفسير بحول الله؛ ثم أتبع جل وتعالى قصة موسى بقصص غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أممهم على الطريقة المذكورة، وتأنيسا له عليه الصلاة والسلام حتى لا يهلك نفسه أسفا على فوت إيمان قومه؛ ثم أتبع سبحانه ذلك بذكر الكتاب[36]، ومما يستدعي الانتباه تقدم قصة موسى عليه السلام على قصة إبراهيم، وعلى قصة نوح، وقصة عاد عليهم السلام، مع أن الترتيب الزمني غير ذلك، وأشار الإمام البقاعي في تجليته لهذا التناسب الترتيبي على الهدف الرئيس من وراء ضرب هذه القصص[37]، ثم أتبع سبحانه وتعالى قصة موسى بقصة إبراهيم عليهم السلام قال تعالى:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[38]، وذلك لما تقدم من مشاركة في التسلية، إذ وقع لقومه من التعنتات الشيء الكثير، ولما أختص به أيضا من مقارعة أبيه وقومه في عبادتهم للأوثان، التي هي معبود العرب آنذاك، هذا فضلا عن كون إبراهيم عليه السلام أعظم آباء العرب؛ ليكون ذلك حاملا لهم على تقليده للتوحيد[39].

ثانيًا: مناسبة قصة إبراهيم عليه السلام

ذكر سبحانه وتعالى قصة الخليل إبراهيم عليه السلام، موزعة فيما تقدم من السور حسبما اقتضته المناسبة، وموقفه من قومه وأبيه في عبادتهم للأوثان والأصنام، وقد أظهر لهم بقوة حجته، ونصاعة بيانه، وبطلان ما هم عليه من عبادة ما لا يسمع ولا ينفع، وأقام لهم الأدلة القاطعة على وحدانية رب العالمين، الذي بيده النفع والضر، والإحياء والإماتة قال تعالى:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ

إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾[40]، ثم تتحدث السورة عن المتقين والغاوين، والسعداء والأشقياء، ومصير كل من الفريقين يوم الدين قال تعالى:﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴾[41]، كان إبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام، ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شـــيء، كما تقول للتاجر: ما مالك؟ وأنت تعلم أن ماله الرقيق، ثم تقول له: الرقيق جمال وليس بمال. فإن قلت: ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب، فكان القياس أن يقولوا: أصنام، كقوله تعالى:﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾[42]،﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّ ﴾[43] ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗا ﴾[44]النحل: ٣٠ (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا). قلت: هؤلاء قد جاءوا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين، فاشتملت على جواب إبراهيم، وعلى ما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار؛ ألا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد:﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾[45]، ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده[46]، ثم أعقبه سبحانه وتعالى بقصة نوح قال تعالى:﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ وما كان أثناء ذلك من ترتيب تناسبي بليغ؛ قدمت فيه قصة موسى عليه السلام، ثم وليها الحديث عن قصة إبراهيم فنوح...الخ وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ثالثًا: مناسبة قصة نوح عليه السلام

ويرجع السياق القرآني في التاريخ من قصة موسى عليه السلام إلى قصة إبراهيم عليه السلام، كذلك يرجع السياق من قصة إبراهيم إلى قصة نوح عليه السلام ويتجلى الخط التاريخي إذ ليس هو المقصود هنا، بل المقصود هو العبرة من نهاية الشرك والتكذيب قال تعالى:﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[47]، فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء؛ ثم أغرقنا بعد إنجائه الباقين من قومه، إن في ذلك لآية شاعت وتواترت، وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم[48]، وذكر الإمام البقاعي مناسبة القصص بقوله:((ولما أتم سبحانه قصة الأب الأعظم الأقرب، أتبعها – دلالة على وصفي العزة والرحمة – قصة الأب الثاني، مقدما لها على غيرها، لما له من القدم في الزمان، إعلاما بأن البلاء قديم، ولأنها أدل على صفتي الرحمة

والنقمة التي هي أثر العزة بطول الإملاء لهم على طول مدتهم، ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع أهل الأرض))[49]، ثم تأتي قصة هودعليه السلام وقصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب عليهم السلام وكل منهم تختم بنفس الآيتين: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[50].

رابعًا: مناسبة قصة هود عليه السلام

وقف الإمام البقاعي على هذه القصة؛ أعني قصة هود، يبين ما فيها من تناسب مع التي قبلها، معتمدًا في ذلك على ما فيها من عبر وعظات تجعلها أنسب من غيرها في هذا السياق القرآني القائم على ذكر ما حل بالأمم السالفة ممن كذب وعصى؛ ليكون في ذلك كبير عظة وحسن اعتبار لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد من هذه الأمة على نبيها أفضل الصلاة وأتم التسليم[51]، **قال تعالى:** ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[52]، يقول الإمام البقاعي:((ولما انقضت قصة نوحعليه السلام على هذا الهول العظيم، كان ذلك موجبا للسامع أن يظن أنه لا يقصر أحد بعدهم وإن لم يرسل برسول فكيف إذا أرسل، فتشوف إلى علم ما كان بعده هل كان كما ظن أم رجع الناس إلى طباعهم؟ وكانت قصة عاد أعظم قصة جرت بعد قوم نوح عليه السلام فيما يعرفه العرب فيصلح أن يكون واعظا لهم، وكان عذابهم بالريح التي أهلكتهم ونسفت جبالهم التي كانت في محالهم من الرمال المتراكمة، فنقلها إلى أمكنة أخرى أقرب دليل إلى أنه تعالى يسير الجبال يوم الدين، هذا إلى ما في صفها الخارج عن العوائد من تصوير النفخ في الصور تارة للقيامة وتارة للأحياء))[53]، وهكذا فقد تجلت العناية الإلهية لنبيه محمدﷺ في وقوفه على قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم إذ اعتمد الهدف والسياق في تسليته وتصبيره على أذى قومه.

وهكذا، فقد حاول البحث أن يقف على العناصر المشتركة بين هذه القصص، وقربها وبعدها من حيث الوعظ والتسلية لهذه الأمة، ولنبيها محمدﷺ، وما كان أثناء ذلك من ترتيب تناسبي بليغ؛ قدمت فيه قصة موسىعليه السلام ثم وليها الحديث عن قصة إبراهيمعليه السلام ثم وقوف البحث على التناسب المتمثل في تعقيب قصة نوح بقصة هود- على رسولنا، وعليهما أفضل الصلاة

وأتم التسليم، معتمدا في ذلك على ما فيها من عبر وعضات تجعلها أنسب من غيرها في هذا السياق الدعوي القصصي، القائم على ذكر ما حل بالأمم السالفة ممن كذّب وعصى؛ ليكون في ذلك كبير عضة وحسن اعتبار لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد من هذه الأمة[54].

كما يلاحظ- أيضاً- أن هذا التّكرار متناسق كل التّناسق مع السّياق الذي وردت فيه القصص، ممّا يجعل القارئ المتأمّلِ لكتاب الله تعالى يشعر وكأنّه أمام قصّة أو خبر لم يكن ليسمع به من قبل، ويتنبّه إلى فوائد وعبر لم تكن لتخطر منه على بال[55]، وهكذا جاء تتابع القصص القرآني مع محور السورة في سياق تناسبي يؤكد نفس الأغراض والغايات والأهداف في القصص التي وقف عليها البحث وللاختصار وعدم الإطالة لم يشر البحث إلى قصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبدأت السورة الكريمة بموضوع القرآن الكريم، وختمت السورة المباركة بتنزيه القرآن عن بهتان المشركين وشناعة قولهم أن الشياطين تنزلت به[56] ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾، وكذلك إخبار عن الشعر والشعراء في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[57].

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، والذي هدانا إلى طريق الحق واجتبانا واستعينه على نيل الرضا واستمد لطفه لما قضى، والصلاة والسلام على من ختم الله به النبوات وأكمل به الرسالات نبينا محمد الأمينﷺ وآله وصحبه أجمعين.

أن المناسبة في القصص القرآني (سورة الشعراء أنموذجا)، التي تم التعرف عليها عن طريق دراسة موضوع بحثي الذي توصلت فيه إلى النتائج التالية:

1. فإن علم المناسبة من البحار الزاخرة التي لا ساحل لها، إذ لا يزال ينتظر من يخدمه ويقوم عليه، وقد حاولت جهدي طرق بابه وكشف أسراره البيانية ولطائفه البلاغية أمام الباحثين، فإن كان ذلك كذلك فهو المطلوب، وإلا حسبي أني أشرت ونبهت على عظم هذا العلم وجليل نفعه وأهميته.
2. بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة في علاقات تناسبية، والقصّة المتكرّرة ترد في كلّ موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر تتجلى من خلال المناسبة بين القصص القرآني ومثالها في سورة الشعراء بين قصة موسىعليه السلام

وإبراهيم عليه السلام، ولكي لا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدّد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

3. قوّة الإعجاز: فإيراد مناسبة المعنى الواحد في صور متعدّدة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التّحدّي.
4. الاهتمام بشأن القصّة وذكرها على غير التسلسل الزمني لأغراض بلاغية تتأكد عن طريق التناسب بين السورة ومحورها لتمكين عبرها في النّفس، فإنّ التّكرار من طرق التّأكيد وأمارات الاهتمام.
5. مراعاة الزّمن وحال المخاطبين بها، ولهذا تجد الإيجاز والشدّة غالباً فيما أتى من القصص في السوّر المكيّة والعكس فيما أتى في السّور المدنيّة.
6. ظهور صدق القرآن، وأنه من عند الله تعالى، حيث تأتي هذه القصص متنوّعة بدون تناقص.
7. تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ، وتصبيره على أذى قومه.
8. تكميل التّصاوير، وزيادة التّجسيم بواسطة العناصر الجديدة الملائمة لجو القصّة، فذكر القصّة نفسها في صور متعدّدة استكمال لجوانبها، فهي لا تتكرّر، بل تتكامل.
9. جذب النّفوس إلى سماع القصّة بالمغايرة بين أساليب القصّة الواحدة.
10. ترهيب الجاحدين وإنذارهم بما جرت عليه سنن الله بعقاب المكذّبين لرسله.
11. فالتّكرار للقصص القرآنيّ ليس تكراراً مملاً، بل هو تنويع معجز، يسهم في تحقيق الغايات والمقاصد، ولا يطلق عليه عنوان التّكرار بما تحمله الكلمة من معناها المألوف إلا عن تسامح لغويّ. فإنّ ما نراه في القرآن الكريم للقصّة الواحدة يختلف من جهات، كالأسلوب، والغرض، واستخدام الألفاظ، وفواصل الآيات، والمناسبات وغير ذلك

ولذلك فأوصي بـ:

1. توجيه الباحثين إلى دراسة المناسبة في القصص القرآني، بشكل أكثر عمقاً وتخصّصاً.
2. نشر البحوث العلميّة في مناسبات آيات القرآن الكريم، وإتاحتها للاستفادة منها.
3. كتابة بحوث مشتركة بين الباحثين والمتخصّصين في تفسير القرآن الكريم وعلومه، يكتب كلّ منهما في مجاله، ليحدث التّكامل المنشود، وتتحقق كثير من الغايات والمناسبات في فهم النصوص.

وأخيراً.. أحمد الله تعالى على اتمام موضوع بحثي هذا سائل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد في القول والعمل، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾، وصلى الله على الهادي البشير والسراج المنير وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وآلة وصحبة اجمعين.

الهوامش والمصادر والمراجع

(1) ينظر: القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط8، 1426هـ ـ 2005, 1/ 130-131.

(2) معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس زكريا القزويني الرازي ابو الحسين(ت:395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، 1399هـ ـ 1979م، 5/423-424.

(3) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376 هـ - 1957م، 1/131.

(4) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1/6.

(5) ينظر: البرهان في علوم القرآن، 1/131.

(6) سورة المائدة: الآية، 38.

(7) التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420هـ، 11/357.

(8) أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني، محمد عامر محمد، جامعة الكوفة، كلية الآداب – قسم اللغة العربية، أطروحة دكتوراه، 1432-2011، ص:4.

(9) التفسير الكبير، 10/140، وينظر: المناسبة في نظم القرآن البياني في تفسير أبي السعود(ت:982هـ)، دراسة أسلوبية، د. خالد مظهر أحمد ذنون العيساوي، عمان: دار الأيام الأردن، للنشر والتوزيع، ط1، 2016م، ص:28-29.

(10) ينظر: دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، د. زهراء خالد سعدالله، الموصل- مؤسسة الواحدة، ط1، 1428هـ- 2007م، ص:21-31.

(11) ينظر: التفسير الكبير، 1/42.

(12) سورة الكهف: الآية، 64.

(13) بصائر ذوي التمييز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة , 271.

(14) البيان القصصي في القران، ص18.

(15) سورة الشعراء: الآية، 226.

(16) ينظر: صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط1، 1417 هـ - 1997م، 4/364.

(17) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م، 19/89.

(18) سورة الشعراء: الآيات، ٢٢٤ – ٢٢٧.

(19) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: 880هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية –

بيروت -لبنان، ط1، 1419 هـ -1998م، 3/15.

(20) أخرجه الطبراني في الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(ت:360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1983م، 225/20؛ وشعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت:458هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1410هـ، 485/2.

(21) سورة الشعراء: الآية،4.

(22) ينظر: إيجاز البيان في سور القرآن، ص81.

(23) التحرير والتنوير، ص89-90.

(24) سورة الشعراء: الآية، 224.

(25) ينظر: النظم الفني في القرآن، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب- القاهرة، 1413هـ- 1992م، ص221.

(26) سورة الشعراء: الآية،213.

(27) سورة الشعراء: الآية،87.

(28) سورة الشعراء: الآية،192-194.

(29) سورة الشعراء: الآية،6.

(30) سورة الشعراء: الآية،227.

(31) التفسير الكبير، 539/24.

(32) ينظر: النظم الفني في القرآن، ص222.

(33) ينظر: إيجاز البيان في سور القرآن، ص83.

(34) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوّى (ت 1409 هـ)، دار السلام – القاهرة، ط6، 1424 هـ، 3907/7.

(35) سورة الشعراء: الآية،10.

(36) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 4/14.

(37) ينظر: التناسب القرآني عند الإمام البقاعي، دراسة بلاغية د. مشهور موسى، عمان- الجامعة الأردنية، 1422هـ - 2001م، ص:176-177.

(38) سورة الشعراء: الآية،69.

(39) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 14/46-47.

(40) سورة الشعراء: الآية،69-70.

(41) سورة الشعراء: الآية، 91.

(42) سورة البقرة: الآية، 219.

(43) سورة سبأ: الآية، 23.

(44) سورة النحل: الآية،30.

(45) سورة الشعراء: الآية، 71.

(46) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، - 1407 هـ، 317/3.

(47) سورة الشعراء: الآية، 105-122.

(48) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418 هـ، 144/4.

(49) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 61/14.

(50) سورة الشعراء: الآية، 121–122.

(51) ينظر: التناسب القرآني عند الإمام البقاعي، ص:178–179.

(52) سورة الشعراء: الآية، 123–140.

(53) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 113/19–114.

(54) ينظر: التناسب القرآني عند الإمام البقاعي، ص:178.

(55) ينظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، ط2، 1418 هـ – 1998 م، ص: 186.

(56) ينظر: إيجاز البيان في سور القرآن، ص:81–83.

(57) سورة الشعراء: الآية، 221–227.